الأشهر الحرم فضلها وواجبات المسلمين فيها

الثلاثاء 24 يناير 2023 08:46 م

الأشهر الحرم هي: الأشهر التي اختصها الله في كتابه وجعلها محرّمة يدل على ذلك قول الله -سبحانه وتعالى-: "إن عدة الشهورِ عند الله اثنا عَشَرَ شَهرًا في كِتابِ اللَّهِ يَومَ خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرضَ مِنها أَربَعَةٌ حُرُمٌ" (التوبة: 36).

ما المراد بـ الأشهر الحرم؟

هي أربعة أشهر بحسب التقويم الهجري: ذو العقدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب ورد في السنة النبوية عن أَبي بكرَة رضي اللَّه عَنْه عن النبِي صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم: "السنَة اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ د، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ" (رواه البخاري 2958)

وهي الأشهر التي كتب الله فيها العهد والأمان على المشركين، قال الله -سبحانه وتعالى-: (فَإِذَا انسَلَخَ الأَشهُرُ الحُرُمُ فَاقتُلُوا المُشرِكينَ حَيثُ وَجَدتُموهُم وَخُذوهُم وَاحصُروهُم وَاقعُدوا لَهُم كُلَّ مَرصَدٍ فَإِن تابوا وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ فَخَلّوا سَبيلَهُم إِنَّ اللَّهَ غَفورٌ رَحيمٌ).

وهذه الأشهر مُحرّمةٌ؛ لأنّ الغزوات والمعارك كانت تتوقّف فيها، أمّا الدفاع عن النفس فلا يُحرّم في تلك الأشهر، وتجدر الإشارة إلى أنّ المعاصي محرّمةٌ في جميع السنّة، إلّا أنّها أشدّ تحريمًا في الأشهر الحُرم

ورُوي عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى "فلا تظلموا فيهن أنفسكم" أنه قال: أي في كلهن ثم اختص من ذلك أربعة أشهر فجعلهن حرامًا وعظّم حرماتهن وجعل الذنب فيهن أعظم والعمل الصالح والأجر أعظم

وقال قتادة في قوله "فلا تظلموا فيهن أنفسكم" إن الظّلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزرًا من الظلم فيما سواها

وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أي الرقاب أزكى وأي الليل خير وأي الأشهر أفضل؟ فقال له: "أزكى الرقاب أغلاها ثمنا وخير الليل جوفه وأفضل الأشهر شهر الله الذي تدعونه المحرم" (أخرجه النسائي في السنن الكبرى).

الحكمة من انفراد شهر رجب عن الأشهر الحرم

وقد ذكر بعض العلماء أن الحكمة من انفراد رجب عن الأشهر الحرم: تمكن العرب من أداء العمرة في منتصف السنة، وأن الأشهر المتواليات لأجل الحج

قال ابن كثير، رحمه الله: " وقوله تعالى: منها أربعة حرم: فهذا مما كانت العرب أيضا في الجاهلية تُحَرِّمه، وهو الذي كان عليه جمهورهم، إلا طائفة منهم يقال لهم: "البسل"، كانوا يحرمون من السنة ثمانية أشهر، تعمقًا وتشديدًا

وأما قوله: "ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان، فإنما أضافه إلى مضر، ليبين صحة قولهم في رجب أنه الشهر الذي بين جمادى وشعبان، لا كما كانت تظنه ربيعة من أن رجب المحرم هو الشهر الذي بين شعبان وشوال، وهو رمضان اليوم؛ فبين، عليه الصلاة والسلام، أنه رجب مُضر لا رجب ربيعة

وإنما كانت الأشهر المحرمة أربعة، ثلاثة سرد، وواحد فرد؛ لأجل أداء مناسك الحج والعمرة، فحُرِّم قبل شهر الحج شهرٌ، وهو ذو القعدة؛ لأنهم يقعدون فيه عن القتال، وحرم شهر ذي الحجة، لأنهم يوقعون فيه الحج، ويشتغلون فيه بأداء المناسك، وحُرم بعده شهر آخر، وهو المحرم؛ ليرجعوا فيه إلى نائي أقصى بلادهم آمنين

وحُرِّم رجبٌ في وسط الحول، لأجل زيارة البيت والاعتمار به، لمن يقدم إليه من أقصى جزيرة العرب، فيزوره ثم يعود إلى وطنه فيه آمنا

وقوله تعالى: ذلك الدين القيم أي: هذا هو الشرع المستقيم، من امتثال أمر الله فيما جعل من الأشهر الحرم، والحذو بها على ما سبق في كتاب الله الأول

وقال تعالى: فلا تظلموا فيهن أنفسكم أي: في هذه الأشهر المحرمة؛ لأنه آكد وأبلغ في الإثم من غيرها، كما أن المعاصي في البلد الحرام تضاعف" (تفسير ابن كثير، 4/ 148).

خصائص الأشهر الحرم

1- تحريم القتال فيهن؛ قال تعالى: "يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير" (البقرة: 217)، ولكن ذهب جماهير أهل العلم إلى نسخ هذا الحكم وجواز القتال، ولهم في ذلك أدلة لا تسلم من مقال، وذهب بعض أهل العلم ومنهم عطاء -رحمه الله- إلى أن الآية محكمة، وأن تحريم القتال باقٍ غير منسوخ، لكن سبق القول أن العمل على خلافه.

2- تحريم الظلم فيهن، وإليه يشير قوله تعالى: "فلا تظلموا فيهن أنفسكم" (التوبة: 36) على أن أهل العلم اختلفوا في عود الضمير في قوله: "فيهن" فقال بعضهم: الضمير يعود على خصوص الأربعة الحرم، وقال بعضهم: إنه عائد على كل الأشهر، وإنما نص الله تعالى على الأربعة لزيادة شرفها وفضلها، وبكل حال فالآية دالة على تحريم الظلم في الأشهر الحرم.

3- اشتمال هذه الأشهر على فضائل وعبادات ليست في غيرها، وهي مشهورة، ولذا سأكتفي بالتذكير بها:

أ- الحج، فأفعال الحج كلها تقع في ذي الحجة.

ب- كما يشتمل ذو الحجة على الليالي العشر التي أقسم الله بها، وتسمى عشر ذي الحجة.

جـ - يوم عرفة، وهو أفضل أيام العشر، ويشرع لغير الحاج صيامه.

د- كما تشتمل هذه العشر على عيد الأضحى، ويشرع فيه الأضحية.

هـ - يشرع صيام شهر الله المحرم، فقد أخرج مسلم وغيره من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة الصلاة في جوف الليل، وأفضل الصيام بعد رمضان صيام شهر الله المحرم"، ويتأكد صيام يوم العاشر مع يوم قبله أو بعده.

واجب المسلم

وبشأن ما يجب على المسلم في هذه الأشهر وما يستحب من أعمال فيها قال الدكتور محمد يسري -وكيل جامعة المدينة العالمية في ماليزيا- "كلما كان العبد لربه أتقى، كان لشعائره أكثر تعظيمًا، كما قال تعالى "ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب" (سورة الحج:32).

ونبّه إلى أنه من أعظم الظلم والمعاصي اليوم إطلاق الألسن في أعراض المسلمين، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ "كف عليك هذا وأشار إلى لسانه". قلت: يا نبي الله! وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: "ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم"، وفقًا لـ"الجزيرة.نت".

ونصح بأن لا يظلم العبد نفسه أيضًا، لأن كل معصية يرتكبها ظلم لنفسه، لأنه بذلك يوردها المهالك في الدنيا والآخرة.

وأضاف يسري أنه من تعظيم هذه الأشهر الابتعاد عن المظالم كلها، فلا يظلم ربَّه بأن يشرك به غيره، في عبادة أو قصد أو رجاء أو خوف، فإنه تعالى الغني عن العالمين.

وشدد على ألا يظلم العبد غيره من المخلوقات، لأن الظلم ظلمات يوم القيامة، وقد قال الله تعالى في الحديث القدسي: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم مُحرمًا، فلا تظالموا" (رواه مسلم).

ودعا المسلمين إلى الاجتهاد في هذه الأيام بفعل أنواع المعروف وأبواب الخير، وأن يتخيَّر المسلم أعظمها، فإنها أكثر من الأوقات، ولا يسعه فعلها كلها، فليحسن اختيار أولاها وأثقلها في ميزانه.

وحث يسري على الاجتهاد في عشر ذي الحجة فهي ميدان التنافس بصالح الأعمال، وليستكثر من صيام شهر الله المحرم، فهو أفضل الصيام بعد الفريضة.